

## بناء القوة ودوره الاجتماعي

د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري (\*)

### المقدمة

تضم الحياة الاجتماعية جملة من المتغيرات التي تستند عليها، ولكي نفهم الحياة الاجتماعية علينا أن نحدد تلك المتغيرات، ولما كانت تلك المتغيرات عديدة وكثيرة فإن الأمر يصعب على باحث واحد أو اتجاه علمي واحد ان يحقق ذلك، من هنا وجب اختيار متغير واحد ضمن اتجاه واحد أو متعدد يقوم به باحث واحد أو عدد من الباحثين.

ضمن هذا التحديد الابنولوجي يسعى الباحث إلى ان يختار متغير بناء القوة ودوره الاجتماعي، مشكلة لبحثه من خلال سعيه إلى ان يوضح حقيقة تعيشها كل المجتمعات.

وتسعى هذه الدراسة التحليلية إلى توضيح حقيقة تعيشها كل المجتمعات على مستوى الجماعات الكبيرة والجماعات الصغيرة، وكما يعيشها الأفراد على مستوى القوة البدنية والقوة بمعانيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية من خلال محاولة فهم شكل بناء القوة والإفرازات التي خلقها على مستوى السلوك، وهنا يتحقق هدف الباحث خاصة وانه يعمل على تجنب الطروحات اليوتوبية لأشكال النظام، والتأكيد على الواقعية الاجتماعية.

(\*) قسم علم الاجتماع - كلية الآداب / جامعة الموصل.

أما الأهمية فهي جهد فكري قائم على التحليل والاعتماد على قاعدة العقل والواقع بأسلوب نظري، ولعل الأهمية الكبيرة التي ياملها الباحث إثارته للنقاش، بغض النظر عن شكل الرؤية والنقد الذي يوجه إليه سواء كان سلبياً أم إيجابياً تحقيقاً لهدف اعظم واجل وهو خدمة العلم.

ولما كان الإنسان بشقيه القوي والضعيف هو ميدان البحث، فان الباحث قد وجد ضرورة الاستعانة بأدبيات تتعلق بعلم النفس والفلسفة والانثروبولوجيا، وان يعتمد في التحليل على قواعد علم اجتماع المعرفة التي تهدف في جوهرها إلى تشخيص العلاقة بين الفكر الاجتماعي، وهو هنا (منطق القوة)، وبين الواقع الاجتماعي، وهو هنا (السلوك المتمخض عن منطق القوة).

## بناء القوة

انقسم الفكر إلى مدارس عدة حاولت كل منها ان تبني أساساً معرفياً للانطلاق في تفسير التاريخ، ورؤية متفحصة للتاريخ ترينا شيئاً واحداً قد تباين شكله لكن مضمونه واحد، وهو أنّ لكل عصر وزمان منطق هو منطق القوة.

وإزاء هذا المنطق جاءت المدارس بتفسيراتها، فانطلق بعضها ليبين ان مكانم القوة انما في العقل، والبعض الآخر ذهب إلى ان مكانها في الإرادة، والآخر وجدها في العلم، وسواهم في الهيمنة الاقتصادية، وفي كل أشكال المنطق لم يكن في جوهره الا بسط نفوذ الأقوى على الأضعف.

وبين مغالاة المدارس، ومهما أتت به كل مدرسة من براهين تثبت من خلالها صحة افتراضاتها، تبقى الحقيقة القائلة: ان ميزة الإنسان انه ذات مفكرة ولكنها

ليست بفكر ذهني خالص، وإنما ممزوجة بالعاطفة، كما وله الغرائز، مثل أي كائن حي.

ان هذه الأبعاد الثلاثة، (الفكر، والعاطفة، والغريزة) تشكل مجموع الإنسان، ورؤية الإنسان وفق هذه المعادلة، تعني تفاوت سلوك الأفراد بنسب تفاوت الأبعاد التي نفخها الله سبحانه وتعالى في أرواحهم. ويعظم السلوك الاجتماعي كل حسب البعد الذي نال نصيباً أكبر. ولما كان لكل عصر لغة فإن البعد ذي النسبة الأكبر حينما يسود ويعبر عنه بلغة تختلف عن لغة العصر السائدة يبدو وكأنه الأضعف، والبعد ذي النسبة الأقل حينما يعبر عنه بلغة العصر يبدو وكأنه الأقوى، وسبب ضعف الأول وقوة الثاني هو مخالفة منطوق العصر للأول ومسايرة الثاني لمنطوق العصر، فيتشكل بناء القوة على صعيد السلوك الذي يحمل مدلول الشخصية وصعيد الطبيعة الحيوية التي تجعل من السلوك الظاهر غطاء يخفي تفاوت نسب الأبعاد بسلوك يأخذ شكل العقلانية الاجتماعية، فمعنى التفاوت. بناء القوة، وما بناء القوة إلا تفاوت في توزيعها<sup>(1)</sup> فيصبح البعد ذي النسبة الأقل في حالة تشكله الاجتماعي، وهو مخالف للغة العصر، فهو سلوك جزئي، وعكس هذا هو سلوك كلي، وتدور رحي التفاعل بينهما على مديان فردي يتمثل بالخبرة الاجتماعية للفرد خلال عمره الزمني، واجتماعي يتمثل بلغة العصر التي تخضع للتغير الاجتماعي، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة العلاقة ما بين السلوك الكلي والسلوك الجزئي، فما يعتبر جزئياً اليوم، قد يعتبر كلياً في الغد القريب، وذلك بناء على زيادة معرفتنا ومعلوماتنا عن الوحدة الكلية للسلوك<sup>(2)</sup>.

(1) د. إسماعيل علي سعد/ في السياسة والمجتمع / دار النهضة العربية / بيروت 1988، ص52.

(2) محمد عماد الدين، المنهج العلمي وتفسير السلوك، مكتبة النهضة المصرية (د.ت)، ص190.

وفي هذا يذهب ميكافلي في طرحه الواقعي بقوله " ... واني لا اعتقد أيضا بسعادة ذلك الإنسان الذي تتفق طريقة إجراءاته مع مقتضيات الزمن، وبتعاسة من يعارض في إجراءاته تلك المقتضيات"<sup>(3)</sup>؛ لأن السلوك الصحيح عبارة عن النشاط الذي يصدر من الكائن الحي كنتيجة لعلاقة بظروف بيئية معينة، يتمثل في محاولاته المتكررة للتعديل والتغيير في هذه الظروف حتى يتناسب مع مقتضيات حياته وحتى يتحقق له البقاء ولجنسه الاستمرار، ويتخذ هذا السلوك صوراً متميزة في طبيعتها، وأهدافها، وفي مشروعاتها، وفي وظائفها، وفي بناها الهيكلية.

ان الغرائز والعواطف كان لهما اثر عظيم في التشكل البنائي لتشكّل القوة، فهذا ابن خلدون يذهب إلى ان العدوان كان السبب في ظهور الدولة، وفي تشكيلها المؤسساتي أو البنائي لما تحمله في بناءها من مستويات عمودية وأفقية ترسم صورة القوي والضعيف لتأصل عامل العدوان حتى انه يجعل قيام الدولة متعذر لتأصله في نفوس الأفراد، "فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الواقع فتتعين السياسية لذلك"<sup>(4)</sup>.

أما ميكافلي فيقول عن العاطفة: ان الناس يتأثرون على الغالب بواحد من عاملين هما الحب والخوف، ومن هنا يكون كل صاحب سلطة، أما من النوع الذي

(3) نيقولا ميكافلي، الأمير، تعريب خيرى جماد، تعقيب فاروق اسعد - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / ط10، 1979، ص193.

(4) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحت إشراف د.علي عبد الواحد وافي - دار الشعب - القاهرة - د.ت، ص338.

يفرض حبه أو النوع الذي يبعث الخوف، ويكون الرجل الذي يبعث الخوف عادة ... أكثر اتباعاً واعظماً تحقيقاً للطاعة من الرجل الذي يفرض حبه<sup>(5)</sup>.

بحكم ان القوة الحقيقية لا تجد صداً في التأثير العاطفي، وصحيح ان الحب من الممكن ان يخلق الولاء، ولكنه قلما يخلق الفعل الذي يحدث التغيير الاجتماعي، وإذا ما جاءنا قائلٌ وقال: ان العاطفة العظيمة التي أججها غاندي بالنسبة للشعب الهندي كانت لها اثر كبير إلى درجة انه استطاع من طرد الاستعمار البريطاني، وانه في هذا خالف منطق ميكافلي، فان الأمر يدعونا للإجابة على هذا التساؤل بان نفس الوسيلة التي اعتمدها غاندي للتأثير على شعبه، فقد كانت لغته متمثلة بإظهار الجوع حينما كان يتبع سياسة الصوم، وهو بهذا يعبر عن حالة يعيشها كل الشعب الهندي، ولما للجوع من قوة مؤلمة، ولما اصبح عليه غاندي من رمز خاصة بعد تأسيسه لحزب المؤتمر، فان الشعب الهندي لم يكن يرضى لزعيمة الجوع، فكان يستجيب لسياسته خاصة ونحن نعلم ان غاندي لم يتبع سياسة الصوم إلا بعد أن اصبح رمز الهند. فخاطب بذلك غاندي نفسية الشعب قبل ان يطالبه بالفعل؛ لان السلوك الذي يفتقد الأساس النفسي سلوك طارئٍ لكونه يفتقر إلى تامين الذات وإشباع رغباتها.

إن السياسة الغاندية إنما هي سياسة عقلانية انطلقت من الغريزة لتضمن لنفسها البقاء، ولعل المقولات العقلية (المنطق، والأخلاق، والجمال) وما يهمننا من هذه المقولات (الأخلاق) للفيلسوف الفرنسي اندرية لالاند في تفسر سلوك غاندي حينما نستعين بها في هذا المجال الذي يقول: "يبدو لي ان من شان كل فعل أو قول

(5) نيقولا ميكافلي، مطارحات ميكافلي - تعريب خيرى حماد - منشورات دار الأفاق الجديدة - بيروت -

أو فكر، حينما يوجه نحو المقولات الثلاث الموجهة لكل طبيعتنا الواعية، ان يدفع بالعالم من التحرك في اتجاه مضاد لاتجاه التطور، بمعنى: أنه يقلل مما في العالم من استقلال وتمايز فردي، لكي يحل محلها التماثل والتحرر، لذا فإن من شأن تلك المقولات العقلية ان تجعل الأفراد اقل اختلافاً بعضهم عن البعض الآخر، وان تحدث لدى كل فرد منهم ميلاً، لا، نحو استيعاب العالم في صميم فرديته (كما هو الحال لدى الحيوان)، بل نحو تحرير ذاته عن طريق تحقيق ضرب من التطابق أو التوحد بينه وبين أقرانه بحيث يتخلص من حالة التمرکز الذاتي"<sup>(6)</sup>. وهنا تصبح حالة الحب لغاندي حالة استثنائية لقاعدة الواقعية الخلدونية والميكافيلية في طرحها عن منطق القوة وبناءها القائم على ضرورة سيطرت الأقوى وأحقيته على الأضعف.

وإذا كانت الغرائز والعواطف مادة السلوك، كان الفكر صورته، فتنشكّل تلك الغرائز والعواطف ضمن مقولات فكرية تجريدية تحاول أن تأخذ صيغة نظرية لتتغلغل في ميدان الواقع الفكري ولتصبح فلسفة عمل لها أطرها البنائية لتبرر مفهوم السيطرة والتنظيرات الفكرية وليست في النتيجة إلا تعبير عن المكمون الغريزي، يقول فرديريك نتشه: "أما وقد أخضعت الفلاسفة لمراقبة دقيقة وقرأت ملياً بين سطورهم فإنني أقول لنفسي وأنّ معظم التفكير الواعي يجب أن يعتبر بين الوظائف الغريزية ... فان القسم الأعظم من التفكير الواعي لأي فيلسوف تأثر سراً بغرائزه، واجبر على المسير في قنوات محددة ووراء كل المنطق بحركاته

(6) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة - مكتبة مصر - الفجالة ط1، 1968، ص110-111.

المسيطرة، ثمة تقويمات، أو لنقل بوضوح مطالب فيزيولوجية لإدامة نمط محدد من أنماط الحياة<sup>(7)</sup>.

أن بناء القوة يعني بشكل آخر وموجز، وفق التعريف الفيبري: هي احتمال ان يكون أحد الأفراد قادراً في نطاق علاقة اجتماعية على تنفيذ إرادته الخاصة على الرغم من المقاومة، وذلك بغض النظر عن الأساس الذي يقوم عليه هذا الاحتمال<sup>(8)</sup>، فالبناء يعني: التفاوت في درجة توزيع القوة وهي دائماً بأيدي القلة من الناس، كما أنها على حد تعبير باريتو: عامل دائم في أي نظام اجتماعي<sup>(9)</sup>، وبدأت منذ الأزل فالتحديد التاريخي لمفهوم القوة تعود جذوره المعرفية إلى أصول ما قبل التاريخ، تقتزن بالإرادة الإلهية حينما عاقب الله - سبحانه وتعالى - واستخدم قوته على اعتبار انه الأقوى التي تمثلت بممارسة قوته على الأضعف قوة آدم، وقد حط شكل بناء القوة (القوي والضعيف) على الأرض الذي بزغت إرهاباته على الأرض، ولعل الشكل الأول لبناء القوة بزغت إرهاباته عندما تقاوت ابنا آدم بينهما وتمت الغلبة لاحدهما بالانتصار على أخيه المغلوب الذي يعد أول ضحية أرضية بعد أبيه الضحية السماوية<sup>(\*)</sup>، عندما خضع لقدرة إبليس.

وإذا كان شكل القوة الأرضية قد تمثل بالقوة الفيزيائية، وشكل القوة السماوية (إبليس) تمثل بالحيلة؛ فإن ذلك لا يغير من الجوهر، وهو وجود غالب ومغلوب بغض النظر عن اداة الغلب.

(7) هنري ايكن - عصر الايديولوجية - ترجمة محي الدين صبحي - دار الطليعة - بيروت، ط2، 1982، ص154.

(8) إسماعيل علي سعد، في السياسة والمجتمع - دار النهضة العربية - بيروت، ط1 - 1988 - ج4، ص78.

(9) المصدر نفسه، ص166.

(\*) نقصد بالضحية السماوية: العقاب الإلهي في إنزال آدم من السماء إلى الأرض.

## إفرازات بناء القوة

ان النتيجة المنطقية لتراتبية بناء القوة هي بلورتها مفاهيم نمطية ترسخت في الثقافة الاجتماعية، حتى أعطت للقوة أبعادها في التعبير عن المفهوم العام والكلي للحضارة (الشكل الخارجي للوجود الاجتماعي)، دون أن تكون (القوة) ذا نمط فوقي عن أبعاد الإنسان (الفكر، العاطفة، والغريزة) فيتم حينئذٍ التوائم بين الحضارة كمفهوم عام، والمجموع الكلي للإنسان، وتبلور ازاء هذا التفاعل، ومن خلال المفاهيم النمطية، الشخصية القومية التي هي حصيلة تفاعل نظم الأفكار المميزة للحضارة ككل، مع النظم الفكرية التي تتولد لدى الأفراد من خلال الأصناف الأكثر خصوصية لمساهماتهم في الحياة الاجتماعية<sup>(10)</sup>.

وان هذه المفاهيم وبحكم عمليات التطبيع الثقافي والاجتماعي تصبح قوالب ثقافية واجتماعية ونفسية تسيير على هديها المجتمعات فتغدو فلسفات اجتماعية تنقوم ركائزها بمرور التاريخ، وقد زودنا التاريخ بنماذج فلسفات اجتماعية كانت تعمل على صهر الأفراد وقولبتهم ضمن نطاق ثقافة المجتمع، وتعمل على ترسيخ الفكر الاجتماعي في ذهن الفرد بدأ من المجتمعات القديمة وحتى المجتمعات الحديثة<sup>(11)</sup>، والمتفحص في جل الثقافات الاجتماعية يجدها تعمل على ترسيخ فكرة الاستسلام لمنطق الواقع وتعزيز بناء القوة الذي يؤمن به المجتمع وفق المفاهيم التي افرزها (بناء القوة)، وقد غالى عدد من الباحثين في تحجيم دور الفرد وجعله متلقياً بشكل

(10) قيس النوري، الحضارة والشخصية - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد 1981، ص84.

(11) ينظر: عبد الله عبد الدايم - التربية عبر التاريخ - دار العلم للملايين - بيروت / ط2 - 1987. وأيضا

عبد الله الخريجي - الضبط الاجتماعي - المملكة العربية السعودية / ط2، 1982، الفصل العاشر.



سلبى لنماذج السلوك والقيم<sup>(12)</sup>، فان ذلك لا يلغي دور الفرد؛ لأننا نجد الطرف المقابل من ذهب الى القول بان الفرد قادر على ان يستخرج من سلوك أبناء جنسه وسيرهم أنموذجاً سلوكياً اجتماعياً عاماً، يدخله في نظام سلوكه الخاص<sup>(13)</sup>. وتبقى بين وجهتي النظر تلك حقيقة قوة التنشئة الاجتماعية في ترسيخ مفاهيم المجتمع، وقد تصل الى حد سلب شخصية الفرد، أو جعلها ناهضة بدورها بشكل كامل وفق منطوق حضارة المجتمع الذي تعمل به.

إن المفاهيم المفروزة من الشكل البنائي للقوة تنطوي على معادلة ببعدين:

الأول: خلق الشخصية التي تتقبل المفاهيم الاجتماعية بشكل سلبى دون ان تعرف مدياتها وإمكانياتها كجزء من بناء القوة الاجتماعية بالنسبة للشخصية التي تحظى بأقل نسبة من القوة ودور الشخص الذي يحظى بدرجة اكبر من القوة.

الثاني: دورها في خلق توازن دينامي يجعل من القوة النفسية للفرد ذات قدرة نفسية متغيرة تلائم الموقف الاجتماعي الذي ترفضه على المستوى السايكولوجي؛ لكونه سالباً لدورها بالنسبة للشخص الذي يحظى باقل قوة في البناء القوي في ظل فكري الصراع والتنافس<sup>(14)</sup>.

ويجبنا علم النفس بشكل علمي على حال المعادلة هذه (بان معالم الشخصية تتسم بالثبات في الفترة الممتدة من بداية المراهقة حتى نهايتها ... وبان ما يبدو من استقرار للشخصية على طبيعة ما لا ينفى تغيرها على مر الزمن، وهذا ما يحدث

(12) دون سذرلاند ودونالد لرسى - مبادئ علم الإجرام - ترجمة محمود السيابي - مكتبة الانجلو - القاهرة 1960 - ص230.

(13) حنا غالب - التربية المتحدة وأركانها - دار الكتاب اللبناني - بيروت/ ط2 1970، ص194.

(14) ينظر: بوتومرر - علم الاجتماع والنقد الاجتماعي - ترجمة محمد الجوهري من هم يجب ذكرهم - دار المعارف، ط1-1981. ص213-218.

بالفعل في أدوار الحياة الطبيعية، ومهما اختلفت الآراء في أمر ثبات الشخصية أو تغييرها فانا لا نستطيع أن نغفل الواقع، وهو ان شخصية الفرد كما تتمثل بسلوكه لها ان تتغير في الكثير من الناس حسب ما تقتضيه ظروف التلاقي بين الفرد ومحيطه وتبعاً لردود الفعل التي يلاقيها في مجتمعه من تسامح او رفض<sup>(15)</sup>.

ان ما يعيننا من المفاهيم التي افرزها بناء القوة ليست المفاهيم المثالية المفترضة التي تسمع في الخطابات السياسية وينادي بها دعاة الإصلاح، بل هي المفاهيم الواقعية بغض النظر عن شكلها؛ لأنّ القوة الحقيقية لأي مفهوم هي واقعيتها التي يفرضها على المجتمع، وان الفكرة المعمول بها هي الفكرة الأصح، ولا نعني بذلك الأصح في مفاهيم الخير والدين، وانما نعني به مفهوم سياسة الأمر الواقع؛ لان الناس إنما تحكم على الأعمال "من نتائجها وعلى هذا يوجه اللوم على ما ينتج من ضرر من أحد المشاريع إلى الرجل الذي نصح به، كما يوجه الثناء إليه إذا كانت نتيجته طردية وان كان الثواب لا يعادل في أية حالة من الحالات العقاب والخسارة"<sup>(16)</sup>، ولعل أحداث التاريخ والمنطق الواقعي يكشفان عن زيف التصورات المثالية، وخير مثال على ذلك حينما نتحدث عن ظاهرة التخطيط الاجتماعي لما له من دور في أحداث التنمية الاجتماعية في البلدان، ولكن منطق الواقع يؤكد غير ذلك؛ لأنّ التخطيط الاجتماعي إنما شكل مظهري ليس له بعد حقيقي، حينما تعترض عملية التنمية الاجتماعية المعوقات والتي عاجها المخطط الاجتماعي ولكنها لم تؤخذ في الحسبان عند تطبيق البرامج، الأسباب أيولوجية، أو

(15) علي كمال - النفس وانفعالاتها وأمراضها وعلاجها - دار واسط للطباعة والنشر والتوزيع - ط 4 -

1988، ص 77.

(16) نيقولا ميكافيلي - مطارحات مكافيلي - مصدر سبق ذكره ، ص 52.

اقتصادية من حيث عدم وجود الإمكانية الاقتصادية للاستمرار في عملية التنمية أو اجتماعية خاصة عند غياب الوعي الاجتماعي...

وان الواقعية في الطرح تفيدنا في وضع الحلول للمشاكل التي تواجهنا للنهوض بالواقع، بدلاً من ان نحلم في صورة لما يجب ان يكون عليه الوضع، وان المفاهيم التي افرزها بناء القوة على الصعيد الواقعي هي ليست مفاهيم فنتازية بقدر ما هي مفاهيم واقعية تفرض هيمنتها وسطوتها على الواقع الاجتماعي بدأً من الأسرة وحتى هيمنة القوة الإمبريالية على العالم؛ لأنّ قواعد السياسي تختلف كلياً عن قواعد المثاليات المتعالية، لذلك لا بد من اتخاذ إجراءات عملية من شأنها ان تقرب المثال من الواقع بدلاً من ان تستغرق فيه وجعله اكثر عملياً بما يمكنه ان يخدم مسيرة المجتمع في التطور؛ لتقريب الهوة ولكي لا نغرق في المثالية ولا نستسلم لواقع يفرض جبروته.

### دور إفرزات بناء القوة في التنظيم الاجتماعي

لقد تمخض عن وجود المفاهيم التي أفرزها البناء القوي نمطان متناقضان، الأول: الضبط الاجتماعي والثاني: الاغتراب الاجتماعي والنفسي اللذان نشاءا وفق منطق السببية؛ افرز الاول والثاني بصورة غير مباشرة، وحيثاً بصورة مباشرة، وتعتمد هاتان الصورتان على الوعي الذي يتمتع به الفرد، ان درجة الوعي هي التي تبرز السببية بالنسبة للحوار الذي يدور بالنسبة للمدرك، ويذهب هذا الفريق (المدرك لمبدأ السببية) إلى القول بان الضبط الاجتماعي منطق تبريري للواقع المتسلط، والاغتراب إنما هو حالة مرضية نفسية مصدرها عدم توافق الفرد للمجتمع، في حين ذهب الفريق الآخر الذي لا يؤمن بالسببية الى القول، بان الضبط

الاجتماعي منوط لتحقيق السيطرة الاجتماعية في سبيل تسيير مسيرة المجتمع دون فوضى وعشوائية، والاعترا ب رد فعل طبيعي لظروف يفرضها الواقع.

وان البناء القوي الذي ترسخ في البناء الاجتماعي لعب دوراً اجتماعياً كبيراً في إعطاء قيمة اجتماعية لمفهوم الضبط الاجتماعي، حيث تحمل السيطرة الاجتماعية وهي المعنى الذي حدده روس بأن الفرد في ضوء هيمنته يتحدد سلوكه من قبل الجماعة، أو الهيئة المحلية، أو المجتمع الأكبر الذي ينتمي إليه وعليه ان يحدد سلوكه ويتكيف في إطار سلوك الآخرين بطريقة آلية ميكانيكية لا يشعر معها بسطوة وسيطرة الجماعة التي فرضت عليه بطرائق غير مباشرة نماذج وقوالب ومعايير السلوك الاجتماعي<sup>(17)</sup>. فيصبح الفرد جزءاً مسيراً ضمن بنية الثقافة الاجتماعية، ويؤدي بالتالي إلى دورين الأول ممارسة دوره كمتسلط يمتلك قوة سواء كانت قوة سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية وسواها من القوى وحتى القوة البدنية ازاء الأضعف منه على اعتبار ان هذا حق مشروع بحكم منطق الضبط الاجتماعي ودوره الثاني كخاضع للأقوى منه. وكل ذلك على اعتبار ان الضبط الاجتماعي يحقق التوازن الاجتماعي وفق قانون القوة، الرئيسة للسيطرة على الناس<sup>(18)</sup>.

بعكس الضبط الاجتماعي الصورة الحقيقية والمجسمة للبناء القوي ؛ لانه يرسم فكرة السيد والمسود، وبغض النظر عن كل ما يقال ويكتب عن أدبيات المجتمعات من ان العدالة الاجتماعية هي المتجسمة في المجتمع، وهذا ما يقال

(17) عبد الله الخريجي - الضبط الاجتماعي - مصدر سابق ص44.

(18) دراسات مغربية - في الفلسفة والتراث والفكر العربي الحديث - احمد شحلان - المركز الثقافي العربي -

الدار البيضاء - المغرب ط1 - 1985، ص65.

دائماً والحقيقة ان ذلك بعيد عن منطق الواقعية كل البعد في العدالة والمساواة والحق. وقد كشف ميشل في كتابه الأحزاب السياسية عن ذلك من خلال قانونه الذي سماه القانون الحديدي للاوليجاركية *The Iron Law of oligarchy* ، والقائل بان الديمقراطية تتحول من ممارسة حرة ومن ولاء للشعب والمنظمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الى ولاء لبعض قادة المجتمع واتباعهم وهو لاء الاقارب والاتباع المعنيون في المراكز الحساسة يطيعون القادة الذين عينوهم طاعة عمياء<sup>(19)</sup> دون ان يولوا أهمية للشعب الذي اختارهم مع قادتهم وذات الحقيقة عبر عنها (س. رايت ميلز) في كتابه صفوة القوة عن شكل وطبيعة القوة في الولايات المتحدة بل انه عمم ما توصل إليه على أوروبا وزبدة فكرته تقول: إنَّ "أولى الثراء العريض (ورجال الإدارة العليا) ينمون بشكل ملحوظ على حساب المجتمع ذي النسبة الغالبة"<sup>(20)</sup>.

ان الحقيقة السلبية للضبط الاجتماعي تلك، لا نعني انها الفكرة المطلقة؛ لان مفاهيم القوة ليست الوحيدة التي تغرسها عملية التطبيع الثقافي في نفوس المجتمع، ولانه في ذات الوقت غالباً ما تكون أبعاد الإنسان (الفكر، والعاطفة، والغريزة) بحاجة الى ضوابط اجتماعية لتحدها كي لا يصبح الفكر فوضوياً، ولا العاطفة سلبية، ولا الغريزة حيوانية.

أما دور البناء القوي في ترسيخ فكرة الاغتراب فلا شك انها نتيجة منطقية وواقعية، أما من ناحية المنطق، فان الأمر يعود الى ان العجز المتلاحق لأفراد

(19) إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1984،

ص47.

(20) بوتومور، علم الاجتماع - مصدر سابق - ص162.

المجتمع عن تحقيق أهدافه يدفعه الى الإحباط والقنوط ومن ثم الاغتراب عن المجتمع ويكاد ان يصبح الاغتراب حالة طبيعية قد لا يدركها أفراد المجتمع أنفسهم بحكم طول فترة الإحباط حتى تصبح حالة طبيعية، وهنا يلعب الاغتراب دورا في تشكيل نمطين قويين خاصة بالنسبة لأفراد المجتمع.

النمط الأول شكله البطش والغلبة، والنمط الثاني شكله العظمة والتعالي (21)،

وذلك أمر طبيعي؛ لان الفرد يشعر بأنه لا توجد رابطة معنوية او مادية تربطه بالوضع القائم فالأجدر به ان يثور على هذا الواقع لتأزم الشعور بالبعد عن المجتمع الذي يحتضنه واغتراب هذا الفرد الثائر نابع من رغبته الصحيحة في انتمائه لمجتمعه، ولما كان يعدم الوسيلة فانه يلجأ الى الإصلاح الثوري من اجل ان يحقق هدفين أساسيين.

أولهما تأمين حاجته الغريزية للغذاء مقابل الجهد الطبيعي ولكنه في حالة عدم قدرته على إشباع حاجاته الغريزية مقابل جهده الطبيعي، فإن الأمر يضطره الى بذل جهد فوق جهده الطبيعي، وفي حال الاغتراب فانه وان بذل جهداً فوق الطبيعي يعجز عن إشباع حاجاته الغريزية، وقد أشار جورج زمل الى وجود غريزة القتال، وفرويد الى وجود غريزة العدوان لما للأساس البيولوجي من دور في خلق الاستعداد للعدوان والقتل (22).

ثانيهما تحقيق الأمن الاجتماعي والاستقرار ليُشعر بأنه كائن له شخصيته المعنوية التي تعزز قيمتها المقومات المادية.

(21) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، دراسة في سايكولوجيا الإنسان المقهور - معهد الإنماء العربي،

فرع لبنان - بيروت، ط1، 1976، ص 274.

(22) بوترمور، علم الاجتماع والنقد الاجتماعي، مصدر سابق، ص 221-223.

أما النمط الثاني فشكله نفسي يتمثل بالعزلة نتيجة إدراك الفرد بسطوة البناء القوي في البناء الاجتماعي؛ انها تبقى الحل الوحيد في مواجهة قساوة التنظيم الاجتماعي الذي هو اجمل الأنماط الحياتية وفق الموقف النظري لما يتضمنه من مبادئ عن الحق والعدل وسواها .... وهو (التنظيم الاجتماعي)، وفي ذات الوقت أصدق الأنماط الحياتية لما يتضمنه مفهوم القوي والضعيف بدءاً من القوة الفيزيائية (البدنية) وانتهاء بقوة الدولة العظمى على الدولة الصغرى من حيث التكنولوجيا والاقتصاد والسياسة ... وسواها من القوى. وقد صور نيكولاس برديايف هذه العزلة في محاولته للتخلص من وجودها، وان كان حله في ذات الوقت حل يحتل مرتبة الأدنى أو الأضعف بالنسبة للبناء القوي الواقعي لانطلاقه من مبدأ روعي حدسي، يقول: "ولعل مما يبعث العجب ان الوعي وخاصة الوعي الذاتي يرتبط بحالة من العذاب والضعف والتهافت والتمزق، وهذه الحالة من الشقاء تتصل بما أطلق عليه بعض الفلاسفة من أمثال "زمل" و "تليتس" و "يسبرز" الموقف الحدي للإنسان ... والشعور بالعزلة الحادة يميل ان يجعل كل شيء آخر يبدو غريباً معادياً وحينئذ يشعر الإنسان أنه غير متوحد ولا وطن روحياً له"<sup>(23)</sup>.

(23) نيكولاس برديايف. العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل، المنشورات الجامعة، طرابلس / 1985،

## *Abstract*

# *Strength Building and Its Role in Society*

*Dr. Shafeeq Ibrahim Al-Juburi<sup>(\*)</sup>*

This analytical study seeks to explain the real life of all societies (whether big or small). Similarly, it explains the real life of some individuals as far as the physical strength is concerned. The researcher finds that it is important to conduct the analysis with the help of sufficient literature on psychology philosophy and anthropology.

Throughout the analysis, the researcher depends on sociobog. Essentially, Sociology aims at identifying the relationship between the socialist thought that is to say the principle of strength on the one hand and the socialist reality (i. e. the behaviour that results from that strength) on the other.

---

(\*) Assistant Professor – Collage of Arts / University of Mosul.